

واقع الدبلوماسية العربية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001

أ/ شريط محمد

أ/ بشيري عبد الرحمان

كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الجلفة

مقدمة :

تفرض المستجدات العالمية المتلاحقة الحاجة إلى تحديد لغة التواصل بين العرب والأسرة الدولية ، فلقد خرج العرب من العقود الماضية والأحداث الأخيرة وقد ضيعوا الكثير من الفرص وخسروا الكثير من المواقع ، وأفاقوا ليجدوا أنفسهم على أعتاب القرن الحادي والعشرين في مراتب متأخرة من حيث المؤشرات التنموية الحيوية في الوقت الذي لم تحل فيه قضاياهم المصرية ، ثم أفاقوا ثانية ليجدوا أنفسهم متهمين بأقصى التهم بعد أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 الدامية .

من هنا تتجه الأنظار إلى الدبلوماسية العربية ، وإلى المهام المناطة بالجهاز الدبلوماسي العربي في المرحلة المقبلة . فالدبلوماسية هي لغة الحوار وأداة التواصل المباشرة مع الآخر للتعريف بالذات ، والدفاع عن القضايا ، وخلق حالة وثقافة سلام تتحقق في ظلها مصالح الجميع .

أولا : الدبلوماسيون العرب والإرهاب الدولي :

أصبح الإرهاب جزءا من الممارسات الإجرامية لتنفيذ مطالب سياسية ، أو إثارة قضية ما عن طريق وسائل الإعلام العالمية ، ومن سوء طالع دبلوماسيين أنهم وعائلاتهم قد أصبحوا هدفا ممتازا لتنفيذ مخططات الإرهاب ، وقد احتلت سفارات مصرية بالخارج على فترات متعددة ، وحجز الدبلوماسيون بما فيهم السفراء تحت تهديد السلاح وأمضوا أوقاتا عصيبة بين الحياة والموت مع إرهابيون يتصفون بالجهل والقوة الغاشمة والرغبة في البطش والتدمير ، كان من السفارات التي أحتجز فيها الدبلوماسيون والسفراء كرهائن سفارة مصر بتركيا والسفير أحمد كمال علما وسفارة مصر ببنجلاديش والسفر محمد وفاء حجازي ، وسفير مصر في ليبيا السفير صلاح علوية ونسفت سفارة مصر في الباكستان وقتل بعض الدبلوماسيين منهم السكرتير ثان نعيم أحمد بن خليل وكان رحمه الله نموذجا مشرفا للدبلوماسية ، الذي يشر بالخير ويزينه عمله وأدبه وتدينه . هذا إلى جانب المحاولات التي فشلت في اقتحام الكثير من السفارات المصرية وحرقت بعض الآخر .

وقد نشر في جريدة الأهرام بتاريخ 24/8/2000 الخبر التالي "شددت السلطات اليونانية أمس إجراءاتها الأمنية حول مقر السفارة المصرية بوسط العاصمة ، وكان إرهابيون ينتمون إلى جماعة [الفوضيون] المناهضة للأجانب المقيمين في اليونان قد نجحوا في تفجير سيارة أحد موظفي السفارة وذلك فجر أمس أمام منزله بإحدى مناطق العاصمة ، وقد أعلنت المنظمة في بيان خلفته في موقع الحادث إعتزامها توجيه ضربات

متلاحقة إلى جميع الدبلوماسيين الأجانب المقيمين باليونان ، وطلبت منهم مغادرتها وحذرهم بالإقامة في البلاد".

وهكذا تستمر عمليات الإرهاب الموجهة ضد الدبلوماسيين والتي تجعل حياتهم مليئة بالمخاطر والتوتر والقلق (1).

ثانيا : الإرهاب الدولي والإتفاقية الدولية :

الإرهاب في المفهوم الأوروبي هو : الجريمة المنظمة التي يهدف أصحابها إلى السطو على المال واختطاف الأشخاص .

والإرهاب في المفهوم الإسلامي : هو إحداث الرعب والخوف في نفوس الآخرين سواء اقتران ذلك بقتل النفس أو سلب المال أو لم يقترن بشئ من ذلك .

إن مجرد رفع السلاح في مواجهة الآخرين يعد إرهابا لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : وإذا المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار" قالوا : هذا القاتل ، فما بال المقتول يا رسول الله ؟ قال : " إنه كان حريصا على قتل صاحبه " (2) .

وقد شدد الإسلام حتى على عقوبة الإرهاب وسميت بالحرية وفيها قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا تُقَطَّعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (3) [المائدة :33]

فعقوبة الإرهاب تتفاوت بين القتل أو قطع اليد والرجل من خلاف أو السجن ويضاف إلى ذلك صلب المقتول أو قطع يده ورجله ليشاهده الناس حتى يكون عبرة لغيره .

وقد علل الإسلام سبب هذه القسوة مع الإرهابيين بقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (4) [المائدة 32].

أصدر مجلس وزراء الداخلية العربية إتفاقية مكافحة الإرهاب في القاهرة في أبريل 1998 وبدأ التنفيذ الفعلي لها في أبريل 1999 م .

وفي بيان للمجلس أوضح أن الإتفاقية تبرز الصورة الحقيقية للإسلام الذي يدعو إلى الإخاء والمحبة والتسامح وينبذ كل أنواع العنف والإرهاب والتخريب الذي تقوم به بعض الفئات الضالة باسم الإسلام وتحت رذائه .

وتعتبر هذه الإتفاقية إرهابا كل عمل عنف أو تهديد باللجوء للعنف أيا كانت دوافعه وأهدافه إذ كان

يسعى إلى تنفيذ مشروع 'جرامي فردي أو جماعي ، بحيث يثير

الرعب أو يهدد حياة الآخرين أو حريتهم أو سلامة السكان (5).

لقد تم التوقيع على الاتفاقية الدولية لقمع الارهاب في استراسبورج بفرنسا يوم 1988/01/27 .

وقد حولت هذه الإتفاقية للدول الموقعة عليها حق استبعاد بعض الجرائم فلا تلتزم بتسليم المطلوبين في هذه الجرائم وهي الجرائم السياسية والمرتبطة بها وتلك التي ترتكب لأهداف سياسية .

ولكل دولة عند التوقيع أن تحتفظ بحقها في رفض طلب التسليم في بعض الجرائم التي وردت بالمادة

الأولى من الإتفاقية .

كما تضمنت في المادة الخامسة شرطا لحماية اللاجئين السياسيين فلا تلتزم الدولة التي قبلت اللجوء

السياسي بتسليم هؤلاء اللاجئين ، وذلك إذا توفرت لديها أبواب جدية أن الهدف من التسليم هو تحريك الدعوى الجنائية ضد اللاجئين السياسي أو لمعاقبته بسبب يرجع إلى الجنس أو الدين أو الجنسية .

وقد تضمنت المادة السادسة التزاما على الدولة التي رفضت التسليم سالف الذكر أن تحيل الشخص

إلى قضائها طبقا لقانونها الداخلي دون أي إستثناء أو تأخير .

الخطر الإسلامي والإرهاب : كتب البروفسور إدوارد سعيد — أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة كلومبيا

الأمريكية — يوم 1998/03/04 معلقا على كتاب "الخطر الإسلامي" للسيدة جويث ميلر ، فقال : على

الرغم من أن معظم البلدان الإسلامية في عصرنا تعاني من الفقر المدقع والاستبداد والعجز العسكري ، وغير

قادرة من الناحية العملية على تشكيل خطر على أحد إلا على مواطنيها ، وعلى الرغم من أن معظم البلدان

القوية منها متحالفة مع الولايات المتحدة الأمريكية وتدور في فلكها ، إلا أنه يهم خبراء أمثال ميلر وصموئيل

هنتنغتون ومارتن كرامر ورنارد لويس ودانيال بايس وستيفين إمرسون ، وباري روين بالإضافة إلى مجموعة

من الأكاديميين الإسرائيليين ، يهم هؤلاءوصم الإسلام بالإرهاب والعنف والتأكيد على الخطر الإسلامي ضد

الغرب ، حتى يبدو مخيفا بشكل غير معقول حتى يضمنوا لأنفسهم استشارات مفيدة وإبرام عقود لكتبهم ،

وظهورا متوترا على شاشات التلفزيون .

ثالثا : مجزرة جنين والإنحياز الدولي :

إن المذبحة الصهيونية في حي الدرج بغزة والتي أرتكبها الجيش الإسرائيلي ضد الأطفال والمدنيين في

آخر يوليو 2002 هي إحدى حلقات الحرب الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني . ولن تكون هي الأخيرة

فهاهم يحتلون نابلس في أول أغسطس 2002 ويهدمون البيوت ويعتدون على المدنيين لإرهابهم حتى يخرجوا

من وطنهم ويتركوه للمهاجرين من اليهود .

ومن قبل يوم 2002/03/29 وقعت مجزرة في مخيم جنين رغم أنه تحت رعاية الأمم المتحدة .

ولما قرر مجلس الأمن تشكيل لجنة تحقيق رفضت إسرائيل وبضغط من أمريكا على مجلس الأمن تغير

القرار إلى لجنة تقصي الحقائق ، وهذه هي الأخرى رفضت إسرائيل إستقبالها فانسحب الأمين العام صاغرا

فلجأ العرب إلى الأمم المتحدة التي كلفت الأمين العام كوفي عنان أن يرفع عليها تقريراً فوضع هذا التقرير يوم 2002/08/01 فإذا به يلقي بالمسؤولية على الفلسطينيين والإسرائيليين معا ويتهرب من الحقائق الدامغة والناطقة فعلى سبيل المثال :

1. أن القتلى في هذه الجزيرة في هذا المخيم خمسمائة شخص فإذا بالتقرير أن القتل 52 فقط وأنه قد قتل من الإسرائيليين 23 وهكذا يساوي بين المعتدين الجنود والمعتدي عليهم ويغالط في العدد .
 2. نقل التقرير عن إحصاءات الأمم المتحدة مقتل 497 فلسطينياً خلال الفترة من 2002 /03/01 وحتى 2002/05/07 بسبب الاحتياح الإسرائيلي للمدن الفلسطينية مما فيها مخيم جنين لكنه يلقي بالمسؤولية على الطرفين .
 3. نقل عن مسئول الصحة بالأمم المتحدة أن الجرحى خلال الفترة السابقة 1447 فلسطينياً منهم 538 إصابتهم كانت خطيرة ومع هذا يساوي بين المجرم والضحية .
 4. ذكر التقرير أن العنف الفلسطيني في الهجمات الانتحارية تسبب في معاناة كبيرة للشعب الإسرائيلي واقتصاد إسرائيل ولم يلتفت إلى أن قرارات الأمم المتحدة أدانت إسرائيل في استمرار احتلالها للمدن الفلسطينية واعتبرت مقاومة الاحتلال عملاً مشروعاً .
- بهذا تجاهل التقرير أن الاحتلال هو سبب هذه المقاومة وأن بيد الجيش الإسرائيلي أن ينسحب من المدن التي احتلها حتى يجنب هذه المقاومة .

ولقد رحبت إسرائيل بهذا التقرير لأنه بدد سوء الفهم لدى المجتمع الدولي عن وقوع مذبح في المخيم. إن استمرار الإرهاب الصهيوني يرجع إلى أن الإدارة الأمريكية برئاسة بوش تصف السفاح شارون بأنه رجل سلام ، وهذا الوصف من بوش صدر بعد هذه المذبحة مباشرة ، ولم يكتفي بوش بذلك بل مزال يضغط على الأمم المتحدة للحصول على مزيد من الانحياز للعدوان ، ويضغط على الأوروبيين لذات الهدف(6).

رابعا : الانحياز للأمم المتحدة :

يعد تقرير الأمم المتحدة لإسرائيل انحيازاً لا يخفى على أحد ذلك أن المجازر التي ارتكبت في حق الفلسطينيين ونقلتها المحطات الفضائية والصحف والمجلات وهذا الانحياز يفسره قول روبرت هالي ، وهو أحد أعضاء الفريق الأمريكي لقمة كامب ديفيد في عهد كلينتون فقد قال عن السياسة الأمريكية آنذاك : " إن الإستراتيجية الأمريكية في هذه القمة تقوم على قاعدة تجنب شيء مفاجئ يتم طرحه من الفلسطينيين وذلك لالتزام أمريكا بالحصول على موافقة إسرائيل وعلى الأقل إطلاعها مسبقاً على كل واحدة من أفكارها "(7).

إذا قيل هذا عن أمريكا في عهد كلينتون ، فما هي أمريكا في عهد بوش الابن ؟

لقد كب أحد البريطانيين : إنها إسرائيل الأمريكية مما قال(8) :

" بعد أحداث 11 سبتمبر المريعة ، دفع اللوبي المؤيد لإسرائيل في اتجاه توسيع رقعة العمليات لتشمل بلدانا أخرى إضافة إلى أفغانستان ، وتعد أمريكا نفسها الآن للهجوم على العراق لا يبرره شئ سوى ميل إسرائيل على الهيمنة على الصعيد الإقليمي ، و ثم شعور عام بالارتياح في أوساط اليمين الإسرائيلي إلى كون الولايات المتحدة تبدو في صورة إسبارطة إسرائيل الإقليمية المحاربة ."

الأمريكيستان : في الإدارة الأمريكية اليوم سيطر اللوبي المؤيد لإسرائيل ، بالتحالف مع الأصوليين المسيحيين ، كليا على النقاش في شأن السياسة الأمريكية ومزال كولن باول ووزارة الخاجية يشكلان جيبا للمقاومة ، تساعداهما أحيانا أصوات جيمي كارتر وبرنت سكو كوفرت وزبغنيو بريجنسكي وعندما أعاد آريل شارون غزو الأراضي المحتلة ، أراد الرئيس بوش أن يتم الانسحاب "الآن" و "فورا" و "من دون تأخير" لكنه اضطر للتراجع بسبب الضغط الهائل في واشنطن . وتبين أن اللوبي لا يعاني "ولا مزدوجا" إذ عندما اختلف الرئيس في مناسبات نادرة ، مع رئيس وزراء إسرائيل ، نجد أن اللوبي ينحاز .. ولكن ليس إلى جانب الرئيس ، وخير دليل الثنائي بوش ، الأب والابن ، وذلك الأمر في أقل من عقد من الزمن .

عندما زار النائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني لندن في مارس في طريقه إلى المنطقة ، نشرت في صحيفة "ذى غارديان" رسالة مفتوحة كتبت فيها "إن العالم العربي ليس في نزاع أيدلوجي مع الولايات المتحدة ، ونحن نعتقد بأن ثمة أمريكيتين ، وثقافتين سياسيتين وذاكرتين تاريخيتين . هناك أمريكا في عهد المستوطنين الأوائل الذين اصطدموا ، لدى اكتشاف العالم الجديد ، مع السكان الأصليين واستأصلوهم بصورة كلية تقريبا .

هذه أمريكا التي رسخت العبودية وكان لها مفهوم مطاطي لحدودها وتوسعت بلا خجل على حساب المكسيك وهذه أمريكا التي يسعى آريل شارون دائما إلى التحالف معها .

لكن هناك أمريكا أخرى هي أمريكا حرب الاستقلال ضد القوة الاستعمارية . أمريكا التي اتخذت قرارا مؤلما بخوض حرب أهلية لإلغاء العبودية ، أمريكا ورئيسها ويلسون الذي جاء إلى مؤتمر فرساي متمسكا بمبدأ حق تقرير المصير . أمريكا الحقوق المدنية وحلم مارتن لوثر كينغ . وهذه هي أمريكا التي نناشدها نحن الفلسطينيين ونسعى إلى التحالف معها .

إذا قيل عن بوش : إنه ذيل لشارون فقد كتبت الصحف البريطانية عن رئيسهم توني بلير أنه كلب بوش حيث يتبعه باستمرار (9) .

الهوامش :

01. السفير عبد الفتاح شبانة . الدبلوماسية . مكتبة مدبولي ط 2002 ص 118

(2) مسلم في الفتن وأشرط الساعة (14/2888) .

(3). (4) سورة المائدة الآية 32 . 33.

- (5). الأنباء ، العدد 8251-1420/1/22-1420-1999/5/8 والوطن ، العدد 8342
- (6). سالم البهنساوي .التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدولي .دار الوفاء ط 2004 ، ص 111
- (7). نشر في الرأي العام بالعدد 1245 يوم 2001/8/24 ص 26 .
- (8).. نشر في صحيفة الحياة بالعدد 14382 في 2002/8/5
- (9) المرجع نفسه.